مجلة المعجمية - تونس
عدد 6-5
1990
دائرات المعارف وصلتها بالمجمع التاريخي (العربي)

بحث: الأسئلة فرحت الدرسي

إن الظليم الغالي أن من أغلى ضروب التصنيف بعصر التدوين من جهة جمع المادة اللغوية وعلى تقرير السباق في الزمان التأليف المعجمي في اللغة العربية (1) ولعل حركة التأليف المعجمي بطبيعتها - من جهة العلوم - وعند العرب - من جهة الخصوص - من أكتر حركات التأليف اشتداداً إلى الرغبة في الاحاطة وفي الشمول (2) ابتغاء الاستفادة والاستياء.

ولعل هذا المقصد ذاته ظل إلى جانب دوافع أخرى - يستحب - إن قليلا أو كثيرا - حركة التأليف المعجمي في العصر النهوضي الحديث على تقرير ما بات يقتني من حرص شديد على رصد نقائص المعجم العربي وتبغ هئاته وبضخ سلطاته تصححا واستدركا وإحياء ووضعا (3).

(1) - انترا مثال: حسين نعمر: المعجم العربي. نشأته وتطهيه. دار مصر للطباعة.
محمدحسين جبل: "الاستدراك على المعاجم العربية" دار الفكر العربي. 1986
(2) - انترا مثال: "الأزهر" تذيب اللغة، الدار المصرية للتأليف والترجمة. القاهرة 1964.
(3) - انترا مثال: محمد ضارب حمادي: حركة التصحيح اللغوي في العصر الحديث، دار الشيد، وزارة الثقافة والإعلام بالجمهورية العراقية، بغداد، 1980.

61
إِنَّها لِتذكِّرة ناصِحةٌ عِلَّانَ سَمَّىٰ الامْسَئِفَاءِ فِي الْعَمَلِ الْمَعْجِمِيّ
مَوْسِعِيّاً كَانَ أو عَامَّاً أَو مَتَحَصِّصَةً مِنَ الْلُّزْوَمَ في صَنَاعَةِ الْمَعْجِمِ مِنْ جِهَةِ
الْجِمْعِ لَكِنْ لَا تَرْقَى إِلَى الْكَفِّيَّةِ حَتَّى وَإِنْ تَعْدَدَتِ المُصَادِرُ وَالمَرَايِعٍ
وَأَسْتَغْتِ فَضْلًا عَلَى يَجْعَلُهَا مِنْ شَرَائِطٍ وَعُمْرًا يَصْدِرُ عَنْهُ مُؤَاوِيَةُ مِنْ
مَتَصَوْرَاتِ أَوْاحَةٍ. } \[4]

وَلَعْلٌ الْأَجَاجِبَ مَسْتَحْتِصَ الْتَصْرِيحَا وَتَلَمْيِحَا عَلَّان مَرْدَ مَطْعَن
الْقِصْرَ مِنْ فِي شَأْنِ حِكْمَةِ التَّأْلِيْفِ الْمَعْجِمِيّ بِالْعَرَبِيّ ـ عَلَّان قَدَّمَتِ الْحَرْكَةِ
إِلَى خَلْوَتِهَا مِنْ مَعْجِمَ يُقَلِّنْ بِأَطْوَارِ اسْتَعْمَالِ الْكَلَّمَةِ عَلَى اخْتِلَافِ
الأَزْمَةِ وَالْأَمْكَنَةِ.

وَلَعْلَ بعضِ المَسْتَشْرِقِينَ مَمْ وَقَفُ عَلَّان عَلَى الْدِّرَاسَاتِ اللُّغَوِيّة
١٧ ـ حِدْوَدُ الْمُعْلُومَ مِنِ الْوَثَّائِقِ ـ مِنْ أَوْلِ مِنْ فَمِنْ مَنْ خَلْوَتِ حِكْمَةِ التَّأْلِيْفِ
الْمَعْجِمِيّ بِالْعَرَبِيّ مِنْ مَعْجِمَ تَارِيْخِي ـ وَإِنْ أَنَبَيَّرُ هُوَ نَفْسِهُ يَسْتَكِمِّل
الْمَعَاجِمَةِ الْعَرَبِيّةِ وَيَسْتَجِبُ شَيْئًا مِنْ الْرَّابِطَاتِ الجَامِعَةِ بِيْنَهَا وَبِيْنَ مَا
سَوْاها مِنْ الأَلْسَنَةِ ٥ ـ بِهِدٍّ مِنْ رَؤْيَا سَتَسْتَجِبُ مَلاَعِيّهَا فِي نُوعٍ مِنْ
الْمَعَاجِمِ لِغَيْرِ الْعَرَبِ فِي أَزْمَةٍ لَّا بَقَاءٍ ٦ أَلْحَ فِيْهَا أَصْحَابُهَا عَلَى قِيَّمَةٍ

٤ ـ انظُرُ: الْفَوْضِيّ: الْمُزْهِرُ فِي عِلْمِ اللُّغَةِ وَأَنْوَاهُ ُحَقِيقُ عَمَّادُ جَادُ المولِيّ وَعَلِيّ البِجاَرِيّ
٥ ـ وَعِيْدَمْ أَبِي اِلْفَضْلِ دَارِ إِحْيَاءِ الْكَبِّ الْعَرَبِيّ ( د. تَ)
٦ ـ دُوْزِيُّ الْكِتَابِ ( د. تَ)

R. Dozy: Supplément aux dictionnaires arabes E.J. Bril Leyde 3ème éd 1667 ـ ٣
2vol

R. Dozy: dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les arabes,
Amsterdam, 1845

٦ ـ انظُرُ عِلْلِ سَبِيلِ الْمَطْلَبَاءِ:

Emile Genest: Dictionnaire des citations (des phrases, vers et mots célèbres
employés dans le langage courant avec précision de l’origine), Paris 1967

٦ ـ وَكَمْ جَا في تَقْدِيمِهِ (ص.6):

- "Nombre de pensées, réflexions, sentences, maximes éparses, chez les écrivains français ont pris
l’aspect de proverbes ou s’implantent en "phrases connues" dans les livres, écrits, discours journaux,
etc... On les enonce, on les répète à l’évent sans se rappeler toujours leur état civil. L’œuvre qui les
contient, l’écrivain qui leur a donné le jour."

٦ ـ
... Le mot sur le bout de la langue ou de la plume et ce mot ne se présente pas a l'esprit, où le chercher? où le trouver? ...

... Et ces mots éveillent les idées remédiant ainsi à la difficulté plus grande d'aller de l'idée au mot que du... mot à l'idée.

... Et ces mots éveillent les idées remédiant ainsi à la difficulté plus grande d'aller de l'idée au mot que du... mot à l'idée.

Et ces mots éveillent les idées remédiant ainsi à la difficulté plus grande d'aller de l'idée au mot que du... mot à l'idée.

Et ces mots éveillent les idées remédiant ainsi à la difficulté plus grande d'aller de l'idée au mot que du... mot à l'idée.

Et ces mots éveillent les idées remédiant ainsi à la difficulté plus grande d'aller de l'idée au mot que du... mot à l'idée.

Et ces mots éveillent les idées remédiant ainsi à la difficulté plus grande d'aller de l'idée au mot que du... mot à l'idée.
وامًا الحركة المعجمية العربية - على تنوع مساليها وتها مواقفها
واختلاف محاضره وتعدد مناهجها - فقد ظلت قديما وحتى حديثا
محكومة - على وجه الخصوص - بمقصود التصوير اللغوي وتقوى
اللهجة أو منشدة إلى الغريب بأصنافه. ومن كان حظ معجم المعلية
من الحركة المعجمية حظا غير مبكر (معجم الأضداد والإدراك
والرافضك ... 7) فإنها حركة معجمية قد انخرطت في الفضاحة
والمبان الغريبة في حق القول وحق النقض فنشأ عن ذلك أن تكون قاصرة
عن إدراك تحولات معاني الألفاظ ودلالياتها، وعن استيعاب معاني تلك
التحولات وفق اختلاف الأزمة والأمكنة 8.

واذ رقي الثقافي في الذهنية العربية بصورة أعم ولغوية عموما
المعجمية خصوصا منذ قرن أو يزيد صار إثره مهماً في الزمان والمكان
من مطالب الفكر الحديث في وصوح العزم على مقاربة صناعة المعجم
التاريخي لغة العربية، بعد أن استُغِل الفكر اللغوي ذلك البحث على
صعيدي الفرداني والمؤسسات ارتأيًا ان لا يغفل البحث عن مدى ما
يمكن أن تسهم به دائرة المعارف أو الموسوعة من جهة ما قد تخلبه
للغوي من وسائط بين دائرة المعارف وبين المعجم عامه ومعجم التاريخي
خاصة على صعيدي المعرفي والمنهجي قد يستخلص منها الباحث تقاطعا
أو توازيا بين دائرة المعارف ومعجم.
وإذا كانت قيمة الافتراض في البحث مقتربة بمدى إختسابه فإن
شرعية هذا البحث تترسّم من جهة ما يستحيل من عناصر المؤلفة
وال المجاسة بين خطّة دائرة المعارف وخطّة المعجم التاريخي على تقدير
المقصد النظري والعمل الإجرائي.

إنها لتفصيق على تقدير ما يكون بينها من عناصر المخالفة
والمعارضة (9). فكيف تجدل حينئذ في دائرة المعارف درجة الوعي - متي
استخلصت - بالبعد التاريخي للكلمة في علاقتها بالاستعمال على تقدير
تطوير المعنى وتبني تحوله وتسجيله وفق أطوار تاريخية للكلمة بالحرص
على التنسيق على معناها الأول في زمن استعماله الأول وعلى تثبيت
التدريب في ضبط خواص المعنى وفي تفسير معنى تلك التحولات (10).

إنّ مبدأ مطلبا حينئذ في تدبير جهود موسوعية فردية عدّنا منها
دائرة المعارف بطرس البستاني (11) ثم دائرة معارف محمد فريد
وجدي (12) وفي تدبير جهود جمعي دائرتا المعارف الإسلامية، قام به
أعلام المستشرقين (13) دون أن نغفل كل الفعلة عن جهود موسوعية

(9) - نظر إلى ذلك تجريبا لما أشار إليه أوجيس في مرجعه السابق ص 6، يقوله: «... ومن
المرغب فيه كل الرغبة القيام ببحث دقيق قائم بذاته عن علاقة المعجمات العربية بعضها
بعض أو العبارة أخرى عن وجه بعضها إلى بعضها»

(10) - نظر على سبيل المثال مقدمة:
J. Picoche: Dictionnaire Etymologique du français (les usuels du Robert). N.
ED. 1983. Paris

(11) - بطرس البستاني دائرة المعارف وهو فارس عام لكل فن ومطبّب ط. بروت 1876 (1)

(12) - محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن الرابع عشر/العشرين. دار المعرفة للطباعة
والنشر ط. بروت 1971 (10 مج)

(13) - دائرة المعارف الإسلامية نقلها إلى العربية محمد ثابت الفندي – أحمد الشنتاوي – إبراهيم
زكي خورشفيد – عبد الحميد النحاس (د.ت) (14 مج).
أخرى قد يقلل شأنها في حدود ما نروه اختباره من مبحث معجمي وقد عدنا منها دائرة المعارف الألما (14) ودائرة المعارف العثمانية (15) وموسوعة أحمد عطية الله (16) وموسوعة التهامي (17).

يلمح الناظر في مقدمات دائرات المعارف منذ البداية أن أصحابها لا يصدرون ذهباً عن نظرية في تأليف المعجم أو عن شعور بنقاط المعجم العربي أو عن رغبة في تأليف معجم جديد أو عن إدراك ناصٍ على رعي عارف بالبعد التاريخي في علاقته باستعمال الكلمة من جهة جزء من تنطوي معناها الأول من حيث المفهوم والاستعمال وفق أطوار تاريخية للكلمة وإنما أمر أهلها من العرب دون استثناء إحياء الآداب والمعرفة باللغة العربية وتيسير تحصيلها وترويضها على التعبير عن "وسائط التمدن والتقديم" (18) لاستعاق أفق المعرفة، وأما حاصل نوايا المستشرقين ومقاصدهم فنشر تراث الإسلام وتمييزه وتعقيق المعينة به بالكشف عن أسرته وملته (19) بينما ظلت دائرة معارف

(14) - محمد حسين سليمان الألما: دائرة المعارف المصرية بمقدمة الآثر ومجلدة مدار (1).
(15) - دائرة المعارف العثمانية (ط1) حيدر أباد الذكرى الهند (د.ت. (3 مجلد).
(16) - أحمد عطبة الله: القاموس الإسلامي، مكتبة اللغة المصرية، القاهرة 1964/1966 (5 مجلد).
(17) - محمد التهامي: كشف اختلافات الفنون تحقيق لطفي عبد البديع ترجم النصوص، القاهرة 1963 (2 مجلد).
(18) - يقول محمد فريد وادي: في مقدمة معرفة (1).

... ولكننا اليوم... ذكرنا حاجة الأمامة إلى دائرة معارف أخرى مادة وأجمع فوائد... ولكن من أين هم هذا الإبداع معرفة؟ لا تدعي صغرى ولا كبيرة إلا أخلاقها! ... فأصمم على وضع دائرة معرفة ... فعندئذ أن تتوسع في قسم اللغة توسعاً لا يدع حاجة في النفس وإن تتضمن في القسم العملي تبسطاً يبلغ بالطالب غايته ما يرومه.

- انظر كذلك مقدمة النصاني.

(19) - انظر مقدمة دائرة المعارف الإسلامية (1) الترجمة العربية.

66
العلماء والعشائدة وموسوعة التهانيّ محكمة بغاية الاستدراك والاتهم
بدفع رغبة جارفة في الاستفادة والشعور (20).

إن ما ألمعنا إليه لا يعني البنتة أن خطة دائرة المعارف - عند المحدثين العرب - المحكومة بالمقصد النهوضي على صعيد المزيد قد رقيت إلى درجة أحسنت معها أثر خطة المعجم في دائرة المعارف إذ ما انفقت مفهوم المعجم يكافيئ من بعض وجوهه مفهوم دائرة المعارف إذ يرسّم بطرس البستاني عنوانا يقرن بين دائرة المعارف والمعجم على هذا النحو: "دائرة المعارف = وهو قاموس عام لكلّ من ونطلبي".

ويضيف في الصفحة الخامسة من مقدمة معج (1) "في قاموس عام للمعارف من جغرافية وديموغرافية وعلمية و udaة وسياسية وأدبية يحتوي على كلما تصب إليه النفس ويفهي مقتنيه عن مكتبة كبيرة.

ويتقص "وجدي" في مقدمته، مع (1) على أن دائرة معارف المعجم عم مطول للغة العربية والعلوم النقلية والكونية بجميع أصولها وفرعوها، ويُثبت "الأعلمي" في مقدمته: ص 2: أن دائرة معارف المعجم كبير وسفر خطير تأخذ فأرعي وحاز فاوي.

ويلوح الدّارس أنه كثيرا ما حافظت دائرة المعارف عند العرب على وظيفة المعجم إن لم تنقل تأسست عليها إلى حد كبير إذ يقول وجدى مثلا - في مقدمة (فقد وضعنا كتابنا) "كنظ العلوم واللغة" قبل خمس سنين وكان غريناً على أن نحصر خلاصة معلومات البشر كلّها في دائرة واحدة... ولكننا اليوم... أجمعنا على وضع (دائرة معارف) على أسلوب يتاسب الحاجة العصرية ليكون بإزاء سابقه "كنظ العلوم".

(20) يقول الأعلمي في مقدمة معج (1) ص 7: "والباحث على التأليف الذي نظرت في كتب أصحابنا رضوان الله عليهم وموسوعات تراجعهم التي بدأنا من الصفات وال مؤلفات فوجدناها خالية من ذكر جميع من الأعاظم وأعيان الرجال وثقا الرواء..."
وقد ظلت هذه دائرة المعارف تنتهي على صعيد الإجرائي كذلك بخطة صناعة المعجم من جهة النصب والتبثيب إذ يقول البستاني في مقدمةه ص 5 - 6. «قد رتبنا دائرة المعارف ترتيبا قاموسيا سهلا... فيكيفه (القاريء) إن يعرف تهجئة الكلمة... فيبطلها في الحروف الأول منها سواء كان من أصول الكلمة أو مزيدا عليها. ويشير وجد إلى في مقدمته إلى إن مادة تصنيفه مرتبة ترتيب القاموس لتسهيل مراجعتها على الطالب» ويسجل "الأعلامي" في ص 4. من مقدمةه "... قد راعيت في حروف الكلمات كل ذلك على ترتيب حروف المعجم والهجاء... ثم ذكرت في الاثناء ما يتعلق بالكلمة من باب التناسب والاستطوار» والتزم أحمد عطيه في "القاموس الإسلامي" ترتيبا أبجديا وصنف "النهائي" مادته أبواة وفصولا، الباب باعتبار أول الكلمة والفصل باعتبار آخرها... فعلاً يتضح حينئذ أن حدود الفصل بين دائرة المعارف والمعجم في ذهن اللغوي العربي واهية وإن عناصر التمييز بينها منظمة مادام الفهم المتين على المدركات بيلق على المعجم إخلائه على دائرة المعارف ومادام التمثيل والتصور يسلمان إلى الصفائح جميعن متكافئين فضلا عن المستحقل منها من تنازل وتطابق بينهما من جهة رد المواد إلى ترتيب واحد... حتى لكان الشأن تطويل وتوسع وبسيط أو على حد عبارة وجد في مقدمة. مج (1). وفبد ان نقتصر على بعض اللغة نلم باللغة كلها».

إذا كان العقل المدرک العربي لا يفصل فصلا واضحا بين حدود دائرة المعارف وبين حدود المعجم ووسمنا ان نرد المدركات فيها بعضها الى بعض جازت مسألة: إلى أي مدى حيث يمكن أن نستخدم دائرات المعارف مصدرة من مصادر المعجم التاريخي بعد أن ألمتنا إلى إجماع لغوي يمكن أن تتخزنه عبارة أوجيست فيشر الآثية (في القسم الأول من
المعجم التاريخي. ص 7.) وإن تخلّّله "المعججات العربية بعيدة كل
البعد عن وجهة النظر هذه إذ إنها لا تعالج الناحية التاريخية لفرادات
اللغة بل تقتصر على إيضاح الاتجاه النموذجي لها، فضلاً عن التذكير
بمنحى المعجمين المحدثين والذي يمكن أن تنبأ به عبارة "البستاني"
الآتية في تنايا تقدير «قطر المحيط» وقد سمّينا بقطر المحيط لأن نسبته
إلى كتابنا المطول في هذه الصناعة بقطر المحيط توشك أن تكون
كمسة قطر دائرة إلى عقبتها.

إنه لن فق حظُّ عناصر المؤلفة والمجانسة بين دائرة المعارف
والمعجم حظُّ عناصر المخالفة والمغايرة وانحرفت دائرة المعارف في
مظاهر العمل المعجمي المعهود من جهة المهتم والموضوعة وخطوة
الانجاز فإن الناظر في مقدمات دائرة المعارف يستشف ابتداث هاجس
عنده صدور أصروب دائرات المعارف وفيها اندس بدرجات متفاوتة إن
هو إلا الحاجة الملحة إلى سدّ مواطن شغور عديدة بين الاصباع والإشباع
في جانب اللغة العربية وقد تجمعت مثبتات الحاجة في حركة الزمان أي
في التاريخ.

إنه لن لم ترق مفهوميا دائرات المعارف العربية إلى درجة يكتشف
معها أن موضوعن العرب المحدثين فقه ان لكلمة أطوارا تاريخية
والبسطأ ظاهرة تحولات المعنى وبصويا بمتنى التحولات فهل يعني
ذلك انا عدنا من دائرات المعارف عبر خطبة انجازها إجرايًا ما قد
يشفع لها مصدر من مصادر من مصادر المعجم التاريخي على صعيد
المعرفة والمتبجع؟

(21) - انظر - مصطفى - باشر: تطورات اللغة العربية ومراجاها للعصر الحاضر (ترجمة محمد
فريد غزيري) الفكر 64 مارس 1955 ص ص 42 54
- انظر كذلك: تورب (مستشار أمريكي): نظرية ابن خليفة في اللغة
المراجع السابق ص 31
لقد ابتنت سائر دارات المعارف المعدودة على نزعة موسوعية إذ رامت غزارة المادة مطلباً واستفاضة البحث منهجاً فنشأ عن ذلك استبعاداً واستلزمها... ان تراكمت المعارف وان استبدلت رغبة البحث في الاحتراء والاستفاء بالتصنيف الذي اتفاق بدوره على عمل معجمي سرعان ما اندثر إلى الاتسحال بتحديد المعاني انطلقاقاً من المعنى اللغوي فالمعنى الاصطلاحي في غياب مطلق لاستحضار أحوال الكلمة وتغيرات معناها ومعنى تغييراته على غرار ما يلي من أمثلة نموذجية تتوزع
على جانب من الموضوعات المرصودة:

يقول البستاني في مج. 2 ص. 558:
- احتكار = الاحتكار في اللغة احتساَس الشيء للعالِهِم، وفي الاصطلاح الشرعي اشتراء قوت البشر والبهائم وحبسه إلى وقت الغلاء...
- وفي مج. 2 ص. 622:
- اختيار = الاحتكار ترجيح الشيء وتخصيصه وتقديمه على غيره وهو أخص من الأرادء وفي اصطلاح النحاة امتلاك إجراء الكلام على اصله ونقشه وهو التزام إخراج الكلام عن أصله لباعث يستلزم ذلك...
وفي اصطلاح المتكلمين قد يطلق على الأرادء وقد يطلق على القدرة ويقابلها الابتعاب...
ويورد «وجدة» في مج. (أ) ص. 307 - 309

اسفكسياً = كلمة أعمامية معناها الاختناق. وهي حالة تعتمد الإنسان بعضاً من عوارض كثيرة يقطع فيها النفس ويظهر على المصاب علامات الموت وما هو يموت. ـ أسبابه = رواية الهماء أو عدمه كافى في حالة الغرق والخنق. ومنها ما يحصل من زيادة الحرارة... ومنها ما ينشأ من الصواعق... الاختناق من الفحم... الاختناق بالغرق... الاختناق من الحجار... الاختناق من الاردام... الاختناق الأطفال المولودين...
ويورد «الاعلمي» في مج. (1) ج. 2 ص. 223: 
الله = بالله. قال في (مص) أن يؤوِّل أواَلاً و말اً. رجع. والآَل أهل الشخص وهم ذو قرابته. وقد يطلق على أهل بيته وعلى أتباعه. وقال: أهل الرجل الله وهم أتباعه وأهل مملته (ثم) كثر استعمال الآل على أهل بيت الرجل لأنهم من يتبعه وأهل كل نبيّ أمهه.

ويورد أحمد عطية في مج 2 ص 70:
الحزب = لغة الطائفة من الناس أو الجماعة المتقاتلة من حيث المعتقد أو العمل الذي تشارك فيه وقد جاء لفظ حزب في القرآن بهذا المعنى حيناً مجدداً مثل قوله تعالى: "كل حزب بما لديهم فرحون" أو مضافا إلى الله تعالى مثل قوله تعالى: "رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله" أو وضاءا إلى الشيطان مثل قوله: "الله من حزب الشيطان هم الخادرون" كما وردت كلمة أحزاب وهي جمع حزب في مواقف مختلفة من القرآن تشير إلى طوائف الكافرين دعوة الرسل والإنبياء عامة. قال تعالى:
"فَلَوْ رَأَى الْمُؤمِّنُونَ الْحُزُبَانَ قَالُوا هَذَا هُوَ الَّذِينَ وَعَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ."
2 - الحزب اصطلاح يقصد به قسم من القرآن الذي ينقسم إلى ثلاثين جزء وكل جزء يقسم إلى حزبين...
3 - الحزب اصطلاح يقصد به الورد الذي ينulares الضوفي في خلوته وهو مجموعة من آيات قرآنية وأدبية يصوغها الولي لأتباعه.

وقلنا عثناء على استخلاص دلالات النَّفظ المتورطة من عصر إلى
عصر ومن بيتة إلى بيتة على غرار ما صادف أن سجله وجده في دائرة
معارفه مع. 6 ص. 583 من تحولات في المعنى ومعنى التحولات
التي طرأت على كلمة وعلم وإن كانت منقوصة من الشواهد الحاسمة
إذ يورد:

«العلم: كلمة من أشعار الكلمات المستعملة قدما وحديثا وهي
في كل دور من أدوارها تطلق على ما يضاد الجهل على الاطلاق وكثيرا ما
مختلف بها التخصيص في أحوال معينة فصارت تعني ما يضاد الجهل ب نوع
عوائد من المعارف. فنعتبر حال هذه الكلمة عند العرب مثلا في حال
جاهمت ففوق كانت تطلق على ما ينافي الجهل بمعرف الجاهلين
المحدودة وكانت لا تتعدى الشعر والكهناء والقيامة والخطابة والانساب
فعلياً في الإسلام كان يراد من العلم ما ينافي الجهل بما يظهر من المعارف
الجديدة وهي الكتب والسنة وأبواب الملاحم. بل ازدادت معارف
العرب صارت تطلق على ما ينافي الجهل بما يظهر من المعارف الجيدة
كالفقه والتفسير. وشرح السنة والتاريخ وطبعات رواية الحديث والتحويث.
انتشرت العلوم الكونية فيها وتشعبت المعلومات لديهم فصار
يستعملها كل فريق فيها هو يسيب فاتسع مدلولا أسباعا يناسب
اتساع مجالات المعارف الجديدة. ولكنها اليوم تعني في أوروبا مجموع
المعارف الإنسانية المؤيدة بالدلائل الحسية وجمع التواميس التي اكتشفت
لتحمل حوادث الطبيعة تعليما مؤسسا على تلك التواميس الثالثة ولا
تستعمل إلا مفردة وعِي هذا فقد تطلق على مجموع معارف في فرع
خاص من المعارف الإنسانية. وفي هذه الحالة يلحق بها التخصيص
فيقال: علم الكيمياء وعلم الفلك مثلا. وقد يعبرها الجمع في قال
العلوم الكونية والعلوم الرياضية. وقد كاذب العلم تخصيصا معنويًا في
هذين الفئتين المتاخرتين فصار لا يطلق إلا على المعارف التي تقع تحت
أحكام المشاعر وتخصيص لامتحانها.»

فلعل هذه المثال وأشباهه ونظائرة تُتأدِّر استحصالهم من دائرات
معارف العرب الممكدة من بعض آثار وعي مصطنع بحقيقة تغيير الزمان غير أنه لا يترسم في الفكر ولا يتجسّم في اللغة إلا مثّل المتغـيّر العرب على شيء من أسباب تدفق الآخر (العرب بـ العالم)، وإن هي إلا تفيضات لمدلولات سرعان ما تغيّر في مظاهر العمل المعجمي المألوف الذي يردّ دائرة المعارف إلى معجم مطلول أو إلى معجم أعلام (22) أو المعجم إلى ضرب من دائرة معارف.

إن افتراق التضام أو التضابيف بين اللغة من جهة أنها كيان حي يتعهد لسّنة التطور والتبدل وبين التاريخ (الزمان) من جهة أنه حركة دائمة وقوة دافعة في أعين المعجمين العرب النحويين قد وإزاها وعي عارف - عند المستشرقين - بالناحية التاريخية لمفردات اللغة؛ نصد رسومه في حدود ما نحن بصدده في دائرة المعارف الإسلامية، على صعيد التصور والمنهج في الوقت نفسه (أي على صعيد العلوم ومنهج العلم) إذ لا يعول تقريباً بشيء من المساحة والتجوز - استخدام مفهوم من المفاهيم من ثوابات خطة عمل أهمها تاريخية اللغة وتحوّلات المعنى ومعنى تحولات المعنى تاريخياً وفلكياً وثبتت الشواهد الحاسمة وذكر المراجع.

وإذ أن الشاهد يزيد الحجة إقناعاً وجب ان نضرب بعض الأمثلة التي اتخذنا منها المواد اللغوية الآتية (23):

- أدب. مج. 1. ص 532
- زكاة. مج. 10. ص 355
- زنديق. مج. 10. ص 441

(22) - انظر على سبيل المثال أيضاً دائرة المعارف بطرس البستاني وجمع اللغة العربية بالقاهرة: المعجم الكبير، (1956) مطبعة دار الكتب بالقاهرة 1970.
(23) - انظر نصوص الشواهد تامة في مظانها إذ أسفتناها حتى لا ننقل العمل.
وإذا أنتَ تشغل، خاصة في خطة مقصودنا - نظام التصور وبالعلاقتين بين حلقاته وسائرها على تقدير اجتماع اللغة في التاريخ و باستراتيجية التسمية» من جهة تقاطع معور «أشياء الأشياء» مع محور آنات الزمن، فإننا مدعون برصد القرآن اللغوية التعبيرية والتركيبة التي تسهم بدرجات متغايرة في تسجيل المعنى الأول وتحديده تحديدًا زمنيًا وفي الأخلاق على تحولاته وعلى أسبابها على غرار:

لفظ [أدب] كان يدلُّ في الجاهلية والإسلام على . . . وهناك قول مأثور . . . وللفظ الأدب أيضًا معنى فاعلي إلى جانب هذا المعنى العملي نشأ عندما طرح الناس إلى الثقافة . . . في القرنين الثاني والثالث للهجرة وهو بمعناه المجازي يدل على . . . (خزانة الأدب. ج 4 ص 124)

الخ...

زكاة: (تعريفها الفقهي). . . وعلياء الإسلام يفسرُون كلمة زكاة في العربية . . . والحقيقة أن النبي صلعل استعملها بمعنى أوسع من ذلك بكثير. . . وكان النبي وهو ما يزال في مكة يستعمل كلمة زكاة ومشتقاتها مختلفة من مادة زكاء (بمعنى طهر). . . وهذه المشتقات نفسها لا يكاد يكون لها في القرآن سوى ذلك المعنى الذي ليس عربيًا أصليًا بل هو مأخوذ من اليهودية وهو التقوى. وكلمة زكاة تدل في الاصطلاح على . . . كما تدل أيضًا مع تطور في المعنى لا يكاد يلحظ على . . . (انظر سورة الأعلى. آية 14 وسورة المؤمنون. آية 4 وسورة الليل. آية 18. . .)
صناعة: "...وما بعده..." 
صلاة: "...ويبدو ان كلمة صلاة لم تظهر في الآثار الأدبية السابقة على القرآن..." 
صوم: "...والمعنى الأصلي للكلمة في لغة العرب... أما الصوم بمعنى الامساك عن الطعام والشراب... وهذا المعنى أصبح للكلمة في السّنورة المدنية... أما في السّنورة المكية فهي لم ترد إلا مرة واحدة في سورة مريم. الآية 27. والمفسرون يفسرونها بالصمم."

فلعلنا نكون قد كشفنا ان خطة دائرة المعارف الإسلامية، كثيرة ما كانت دلالة على استحصل وعي لغوي عارف ببعض العلاقة بين استعمال الكلمة وأطوار تأرخها وتحولات معانيها باختلاف الأزمنة والأمكنا، وأنه لوعي معرفي تعظم جدواه وتقلل من جهة مدى الاهتداء به في إنجاز المجمع التأريخي للغة العربية على صعيد المنهج الأول والمعرفي ثانيا وأمام ما سوي دائرة المعارف الإسلامية، من دائرات المعارف.

75
المصودة فقد انخرطت في جسم لغوي عربي قديم - وإن تفاوت من أثر إلى آخر - بقيمة تصرف الكلمة الواحدة وفق أوجه استعمال متعددة وختلافة على تقدير تعدد المعاني من فن إلى فن آخر في أحيان كثيرة ونحوئ استعمالها من طور إلى طور آخر في الفن الواحد في أحيان قليلة أو نادرة تظل - على ندرتها - إطلالة غير قصديّة - على تصور المعجم التاريخي وتمثيله.

إثنا كثيرة ما تستحص هذا الحُس اللغوي المستَفδ والذِي لم يرق إلى مرتبة الوعي العام إلا بعد أن يتم المجتمع التاريخي الذي يعني بأوجه استخدام الكلمة التي يشعها لها اختلاف الاستعمال ويضمن تطور معانيها شرعية ووجود من سياق إلى سياق آخر ومن أن إلى آن مغايرو من التصنيفات القائمة على صناعة التحديدات أو الحدود والتي درجت مباحثها على إثارة مسألة التشابه من الألفاظ وما يوضع فيه من الأخطاء من جهة الأصل والطقس، وهي تصنيف كثيرا ما استخدم أصهاها قائمة أو أكثر قد تطول وقد تقصر في أوجه استعمال الإصطلاح الواحد من فن إلى فن آخر مثلها في ذلك مثل التفاسير والشروح وأداب المناظرات والردود والذّاعوي وغيرها من التصنيفات التي باتت على حظ وافر كما أشباه ذلك العمل المعجمي (24). وجعل صنفا آخر تضمنه حركة التأليف اللغوي عند العرب حسب عن أنظارهم إمكان صناعة معجم تاريخي يتأسس على تصور معنى الكلمة باختلاف الاستعمال من طور إلى طور.

- ابن سينا: البحار (الفن الخامس من كتاب الشفاء) تحقيق عبد الرحمن بدوبي. 1954.
- ابن حوم: التقريب في المقطع والمدخل إليه بالالفاظ العاملة والأسئلة التنقية تحقيق إحسان عباس بيروت 1959.
- الغزالي: المستصفى من علم الأصول ط (2) دار الكتب العلمية بيروت 1983.
ودعني شيوخ كتب اللحن - كان لحن عامة أو لحن خاص - على تقدير أنها في نظري مشغل - على أهميته نظري - هو - إجراي - ضرب من تعديل تطور الاستعمال ووجه من وجه إلغاء الاستعمال المغاير لأنها كتب لغوية رامت ترسيم حق القول الصائب وتثبت سلطة المعيارية على عكس صنف آخر من التصنيفات اللغوية من جنس كتب الفروق اللغوية (25). وهو صنف لحن دل على وحي حاد بالفويرقات المعوية لوعي عارف بدقة الاختلاف بين معاني الألفاظ المحمولة - استعمالاً على التراث على وجه العموم فإنه لم يرق ذهنياً - أي في حدود التصور والتمشّل - بالفكر اللغوي العربي عموماً ومعجمي خصوصاً إلى أن بلغت قوانين المعجم التاريخي المأسّسة في صميمها على وصل الكلمة بالاستعمال وفق آنات الزمان وأحاديثه، فلم يسعه ان يبدد ما ظلّ مجنباً عليه.

وهكذا انحست حركة التأليف اللغوي الواسعة عند العرب قديماً وحديثاً - في تأليف لغوية نزاها عطّلت حلقة من حلقات نقلة الفكر اللغوي العربي إلى ما كان يمكن - نظريًا على الأقل - أن تتولّد عن ذلك العمل اللغوي الواسع إذ عاقدت من جهة إجرائية - إخصاب المعجم التاريخي للغة العربية فلم تتجاوز - من جهة النظر - استحصال وعي لغوي ظلّ خفيًا أو عرضياً في شأن النوعي العارف باختلاف استعمالات الكلمة الواحدة من طور إلى طور ومن مكان إلى مكان إذا كان وعي لغوي محدوداً لم يرق ذهنياً أو فلسفيًا إلى نحو أو نحو إمكان أنظمة متعادلة ومتعامدة ومتطورة بين الكلمات والأشياء على مر الأزمنة وتبغير الأمكانة وإنها ظلّ قيد النقل والمجاز والانتشار والمشترك والترادف في حدود البيان والفصاحة والبلاغة وبيقي محفزاً بسلطة القول الصائب وصادراً

عن سلطة حق القول الفصيح دفعة للتّوهم ورفعاً للّي س لانه رام
المعيارية غاية وأعرض عن الوصيفية المتجددة منهجاً. ولكنه مع ذلك
- وتعني لفوي يعتر له المروء ان أتى على جهل شرائط الكلام القول
والكتوب، الصريح والمسيّف، وعلى أنظمةه تعلماً وتعلهما ولم يخص
ضربها من صناعة المعجم التاريخي لم تتبَّع اليوم حينينا بها نقعه من
استرلاز تنزيل ذلك البحث المفتقد من حركة التأليف اللغوي الواسعة
في فهم شامل لبيئة اشتغال العقل المدرك العربي ولأنظمة التسمية فيه
والتي قد لا يميزها سوى عمل يكشف عن نظام تعامل العقل العربي
عموماً والفكر اللغوي خصوصاً مع حركة الزمن ولا نراه إلا يسمح لنا
ثم إجرائيا بوسعه ان يكشف عن معنى أقد يخفه علينا العمل المعجمي خاصّة
اللغوي عاماً في بعضه الفكري من رؤية فلسفة هي المعني القاصي
والحاكم الفيصل في أنظمة التسمية الواسعة للعلاقات الجامعية بين
الكلمات والأشياء أو اللغة والزمن.

فرحات الدريبي
كلية الآداب، جامعة تونس (1)